

خاتمة المستدرك

[9] ولا يخفى أن (وسائل الشيعة) وإن كان فريداً في بابه، إلا أن مصنفه - قدس سره - لم يسجل كل ما وصل إلى عصره من حديث العترة الطاهرة عليهم السلام بل ترك الكثير من الأحاديث لأسباب سيأتي بيانها عند الحديث عن الفائدة الأولى من فوائد هذه الخاتمة. ومن هنا برزت الحاجة من جديد إلى كتاب آخر يكمل الشوط الذي انتهى إليه صاحب (الوسائل) فيلم شتات الأخبار الأخرى، ويجمع الأحاديث التي لم يسجلها الشيخ الحر - قدس سره الشريف - ويجعلها درراً منسقة، طالما اشتاق العلماء أن يروها مجتمعة. وقد قيض الله تعالى لهذا العمل الضخم رجلاً عبقرى التتبع، بصيراً، ناقداً، واسع المعرفة، مفرط النباهة، حاد الذكاء، هو فارس ميدان الحديث في عصره حيث انتهت إليه رئاسة الحديث وأهله، لا عن تقليد وانكار للجديد، وإنما من نظر وجد، فأحيا من خلال ما شيده من معارف رسوماً وأطلالا أوشكت الأيام أن تجعلها ركاماً مسلوب الجمال ألا وهو: خاتمة المحدثين الشيخ ميرزا حسين النوري النجفي، المتوفى بها. سنة 1320 هـ. لقد وقف المحدث النوري على جملة وافرة من الأخبار التي لم يحوها كتاب الوسائل، وذلك في بضع سنين من التصفح الطويل في كتب الشيعة الإمامية، والتتبع الفريد لكل ما لم يورده الشيخ الحر، ومن هنا كانت انطلاقة (مستدرك الوسائل) إكمالاً لما استهدفه الأصل نفسه، وجمعاً لكل ما ربما يستفاد منه في باب الأحكام الشرعية، ولو بوجه، أو في نظر بعض. قال الشيخ الباحثة الإمام آقا بزرگ الطهراني (ت / 1389 هـ) وهو يصف عمل استاذة النوري في مكتبته العظيمة المشتملة على الوف من الكتب والأثار النادرة العزيزة الوجود، أو الفريدة، ما نصه: